

حوار الأديان والثقافات إشكالية الجدوى

عبد الأمير كاظم زاهد*

مقدمة

تقول الدراسات السكانية و دراسات التوزيع البشري ضمن نطاق الاديان و الثقافات ان في عالمنا المعاصر ثلاثة وثلاثون الف دين ومعتقد، منها ١٢٥ دين يتعامل الناس معها العالم على انها اديان اذ يبلغ معتنقو كل منها قرابة المليون في الحد الأدنى من بينها ثلاثة وعشرون ديناً رئيسياً.

و تؤكد تلك الدراسات ان ٦٠% من سكان الارض البالغين سبعة مليارات من البشر تقريباً يتوزعون بين الاسلام و المسيحية فيقدر عدد المسيحيين (٢,٢) مليار^(١) و تعتبر الولايات المتحدة في مقدمة الدول الكبرى التي لم تهمل تأثير الدين في عملية صنع القرار السياسي و تزعم حرصها على الحوار بين الاديان ونشر ثقافة التسامح لذلك انشأت لجنة الحريات الدينية الدولية (useirf) (IRAF) على اساس قانون الحرية الدينية ١٩٩٨ والذي يصدر تقريراً دولياً كل عام في الاول من ايلول، بخصوص تجاوزات الدول على الحريات الدينية و قد اشار التقرير في نسخة منه التقرير ان المسلمين في اوربا الغربية غالبيتهم من المهاجرين اما مسلمي اوربا الشرقية (ألبانيا و كوسوفو) فهم من السكان الاصليين بحيث يذكر ان اكثر من نصف مسلمي اوربا من السكان الاصليين^(٢).

تقول الاحصائيات انه يبلغ الكاثوليك منهم فقط حسب احصائية الفتيكان ١,١٦٦ مليار و عدد المسلمين ١,٧ مليار نسمة بحيث يشكلون ٢٥% من السكان و يبلغ عدد اليهود في العالم (٤ مليون)^(٣).

لقد كانت هذه الاقوام و عقائدها تعيش في مناطق جغرافية منفصلة عن بعضها ، الا ان الاتصالات و عالم التواصل و الانترنت جعل منها في مقابل الآخر الديني فلقد تكسرت العزلة الجغرافية و صارت الهويات الحضارية المؤسسة على اسس دينية تتعامل على اساس جديد هو مواجهة الانفتاح ازاء هذا التطور التقني الذي جعل البيانات و التصورات كلها متاحة للجميع فهل هذا الامر بصالح تقارب بني البشر ام بصالح الاحتراب و الصراع و النزاعات المدمرة التي تستخدم الدين دافعاً للناس للمشاركة بالحروب^(٤).

* أستاذ دكتور ومدير مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة .



اذ طالما : عمد اشرار البشرية الى اشعال الحروب و الفتن و الصدامات باسم الدين في عالمنا و كان الحدث المعاصر والمهم ما جرى في ١١/ايلول/٢٠٠١ و ازاء ما حصل أنشغل العالم منذ أحداث ١١/أيلول ٢٠٠١ بنشوء وتطور الاصوليات و العنف باتجاهين يسهمان في خضم الجدل الساخن في قضية الأديان ودورها في خدمة الانسان :

الاتجاه الأول : وهو اتجاه المتشددین سواء كانوا في الغرب او في العالم الإسلامي، إما الذين في الغرب فيمثلون باليمين الإنجيلي الأمريكي (يوش الأب) ، وصقور الحزب الجمهوري ، ومعهم المتعصبون المسيحيون وورائهم القوى المتأثرة بالصهيونية الذين يروجون لدعوى إن الإسلام عبارة عن نظرية عمل في العنف وتدمير الحضارة واستعانوا بأمثلة من التاريخ منها السياسات التاريخية للعثمانيين تجاه الأرمن مثلاً وهجومات المتطرفين من القاعدة على مانهاتن وازاء ظاهرة الاسلام السياسي في الشرق الاوسط واوروبا وظهر اصوليات اسلامية سياسية اندفعت الكنيسة الى عالم السياسة بشكل واضح في فترة البيروستريكا وتهاوي اوروبا الشرقية فكانت حاضرة في بولونيا من خلال نقابة التضامن ومع وهدم جدار برلين فقدمت فلسفتها الاجتماعية في الديمقراطية المسيحية ودعمت مادياً ومعنوياً(الاحزاب المسيحية الديمقراطية) و اعطت مساحة من القداسة للسياسة، الا ان الواقع لم يكن متطابقاً مع استشرافات الكنيسة اذ ان الديمقراطية تناسس على حرية الضمير و مبدأ الاغلبية و الكنيسة تناسس على الحقيقة والعصبة ^(٥) وهذا بالضبط ما نصت عليه نصوص الانجيل ^(٦).

ومنذ قيام الدولة العثمانية في اوربا ايدت الكنيسة علمانية الغرب واعتبرت نفسها صاحبة الاطروحة فهي التي ثبتت المبدأ في اناجيلها (اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ^(٧)، لكن العلمانية حالياً تحاصر نفوذ الكنيسة و تظهر مقولة الدين المدني في امريكا كاطروحة لما بعد الحداثة في الفكر السياسي الامريكي وكاجابة على سؤال الى اين تسير الكاثوليكية اليوم يقول برولاي: يوجد تياران في الاجابة على هذا السؤال:

يؤكد التيار الاول ان المسيحية رسالة سلام و تقدم وقد تبنت مقررات المسكونية فكانت رسالة نبيلة. وتيار متأثر باليهودية يرنو الى اورشليم و يعدها اولوية المؤمن ^(٨) ويتدخل في الشأن العام ويمارس ضغوط على الآخر الديني.

وربما يبدو التقسيم السالف من حقائق العالم المعاصر ،الا ان المتطلع له انسانيان ان تصبح الكنيسة اكثر مسيحية و اكثر ارتباطاً بالانسان.



لقد صدر عن اليمين الانجيلي كتاب من نحن [صدام الحضارات]^(٩) وكتاب [الإنسان الأخير]^(١٠) وكتاب [تصدع الهوية] وعشرات الأطروحات و الدراسات التي تركز على نظريتين الأولى تلك التي تزعم تكامل النظرية الغربية معرفياً ومنهجياً وقيماً مما يترتب عليه حمل شعوب العالم على اعتناقها و اعتبار ثقافات و اديان تلك الشعوب ثقافات متخلفة لا تستطيع ان تتعايش مع موجبات الحداثة.

الثانية تلك التي تحاول البرهنة على تخلف الرؤية الإسلامية بالذات وتصادمها مع الحداثة ولكثرة التبشير عنها واصبحت فلسفات تبرر غزو أفغانستان والعراق ، والسكوت عن تدمير الشيشان الصومال ولبنان وضرب غزة وعشرات الحملات الحربية الأوربية معارك الناتو على العالم الاسلامي مما يخلق شعوراً عاماً بعودة الحروب الصليبية في اواخر القرن العشرين واول القرن الحادي والعشرين.

أما في الطرف الإسلامي فقد كان رد الفعل على هذه الاستراتيجيات احتشاد الملتزمين الإسلاميين وراء تنظيمات متشددة كالقاعدة ، وتفرعاتها الجهادية على ان الظن مؤكد ان اغلب المنتمين للفكر الإسلامي السني لم يتفقوا في اصولهم تماماً مع أصول تنظيم القاعدة .

لكن : لان موضوع النزاع التاريخي الاسلامي الاوروبي تحول من موضوع كان يفترض ان (يناقش معرفياً و سياسياً) إلى موضوع للتصادم المتبادل، ويقدم النزاع للناس بوصفه قلقاً فلسفياً على الهوية و الاعتقاد ثم استخدام النزعة الصراعية كوسيلة من وسائل حماية الهوية ، و الدفاع عن الدين و المعتقد و التضحية بالتقدم الاسلامي من اجل كلمة الله لدى كلا الطرفين فالتصرفات الكاثوليكية ازاء المسلمين في فرنسا تتم تحت هذا الهاجس و نزعة الانتقام التي يعاني منها المسيحيون في بلدان العالم الاسلامي تتم تحت هذا المسوغ كل تلك تجعل من الحوار فعاليات في خارج التطلع الراهن، أي حوار النخب الذي لا يلامس او يسهم في حل مشكلات اليوم.

ان هذا التحول من العلاقة الفكرية الى المنازلة المسلحة و ان سوغ في الاتجاهات الاصولية السنية المتشددة فأن وسائل غير سلمية قليلة الاندفاع شاعت ايضا في الاوساط الراديكالية الإسلامية الشيعية كما في بعض الفعاليات السياسية في إيران، لقد اصبحت تجربة ايران الشيعية نقطة توتر مستمر مع أمريكا والغرب ،ولا تزال تعلن ايران الدولة استعداداتها للمواجهة مع الغرب و أمريكا وان بصيغة الدفاع عن الذات و الوجود و المعتقد وحققها في امتلاك وسائل التقدم والردع و مما يجدر ذكره ادعاء الغرب ان ايران تغذي تنظيمات مسلحة ضد أمريكا وإسرائيل و الأنظمة الموالية للغرب في المنطقة ،وتحاول ألان خلق كتلة دولية ضد أمريكا و الحضارة الغربية، على ان المشهد الايراني ليس كله على هذا المنوال لأن هناك قوى اصلاحية ترفع شعار حوار الحضارات فهؤلاء يطالبون بالتخفيف من خطاب الصراع و



الصدام مع الغرب ، وقد قدموا تنظيرات بشأن إصلاح العلاقة مع الغرب على أسس التعاون المشترك بين المسلمين و الغرب بل مع حضارات العالم وثقافته، من دون تمييز على اساس العقيدة وتبنوا فكره حوار الحضارات^(١١).

الاتجاه الثاني :هو الاتجاه الذي يسعى للحوار بين الأديان و الحضارات ففي الغرب دعا الكثير إلى الحوار بين الأديان لدوافع واقعية منها إيقاف موجة الإرهاب المنتشر في كل العالم وتنامي الأصوليات في الغرب واسرائيل وفي العالم الاسلامي المتجه نحو أوربا والغرب بالدمار وكانت تلك الدعوى قد بدأت عام ١٩٦٥ بقرار المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٥) يقول الاستاذ رضوان السيد ان المبادرة ظهرت في الخمسينيات من الكنائس البروتستانتية ثم تلاها المجمع الفاتيكاني و انعقدت على اثرها مواسم ثقافية في الجامعات و مراكز الابحاث ، وكانت الحرب الاهلية اللبنانية ١٩٧٥-١٩٩٠ جزءاً من محركات هذا الحوار فقامت مجموعة من المؤسسات لرعاية مثل هذه الفعاليات^(١٢) ولعل قرار المجمع الفاتيكاني الذي وسع مفهوم الخلاص المسيحي ليشمل كل الإنسانية ،و اسقاط التبعة عن اليهود وبرأهم من دم المسيح ،اجاز التعاون بين الارثوذكسي البروتستانت مع المسيحية الام الكاثوليك^(١٣).

و في العالم الإسلامي هناك قوى تنويرية دعت الى الحوار في مطلع مشروع النهضة في القرن العشرين وتنامت بعد انتهاء الموجة القومية ، واليسار الستيني في مرحلة ما بعد السبعينيات في العالم العربي ظهرت دعوات للحوار و التفاهم و العيش المشترك مع الغرب، و يجدر التنويه انه هذا الأمر كان قد ظهر في مفتح القرن العشرين على يد (جمال الدين الأفغاني) و لكن لم يواصل الدعوة له تلميذه محمد عبده أو محمد رشيد رضا ، ولم يلتزم به الخط السياسي الإسلامي (الإخوان المسلمون) الذي تبنى مبدأ معاداة الغرب فكرياً وفلسفياً و حضارياً فادخل معاداة اديان الغرب في كراهية الغرب اجمالاً بعد جولته و منازلته مع اليسار الدولي ولا يزال الإسلاميون في أدبياتهم يحذرون من القلق على الهوية الاسلامية من الوافد (الفكري والفلسفة الغربية) والمناهج الاوربية في فهم النص الديني ، ويكاد يكون ذلك معتقداً اجماع الحركات الاسلامية السياسية.

ان حاجة العالم الإسلامي إلى درجة من التفاهم و الحوار مع الغرب و ظهور التجربة (الليبرالية) الإسلامية التركية ، و تجربة ماليزيا الحضارية والدور الايجابي للأقليات الإسلامية في الغرب ، و الدور الايجابي للجامعات في أوربا وفي العالم الإسلامي ان كل تلك الجهات اوجدت مناخاً لتقبل موضوع حوار الأديان كفكرة أو مشروع قابل للتداول ، ورغم ذلك ظل هذا مشروع حوار الأديان تكتفه الضبابية وعدم الوضوح ربما حتى عند المعنيين به و المتصدين له وقد تباينت المفهومات و الاطلاقات التي يفرزها هذا المصطلح وسأطرق بإيجاز لعدة أطلاقات وروى تداولية المفهوم (حوار الأديان) وعلى الوجه الآتي :



- هل يجري لاثبات تفوق دين على دين آخر
- هل هو بحث في مزج الدينين وتشكيل حضارة دينية واحدة
- هل نريد توظيف الدين للاستفادة من العلوم و الاداب والفنون لتطوير وعي الانسان وذوقه
- هل مناط البحث استثمار الدين لانقاذ البشرية من هاوية الصراع النووي
- هل يراد تأسيس قرية عالمية ذات دين واحد
- هل نسعى لاكتشاف مشروع للسلام و الامن العالمي
- هل نريد اكتشاف نموذج لنظام عالمي جديد (World Order)

و على المستوى الاسلامي يتساءلون

- هل نحن اليوم صناع حضارة ام ممن يتلقونها
- هل نريد اعطاء شيء واخذ شيء
- هل نريد صياغة قيم نبيلة مشتركة ونلتزم بها
- هل لدينا قدرة و ضمانة تنفيذية

و اخيراً يتساءلون:

هل شروط الحوار متوافرة

- الحاجة المشتركة
- اللغة المشتركة
- القدرة الكافية
- احتمال الوصول الى نتائج
- تحديد موضوع الحوار

من خلال ما تقدم ظهرت عدة رؤى:

الرؤية الأولى : أولاً يتساءل المفكرون الاسلاميون عن المقصود من الحوار

أن الحوار بين الأديان لا يستهدف ليس أكثر من صيغة لتعايش الشعوب متعددة المعتقدات تعايشاً سلمياً
 - ولا شأن لهذا التعايش بالعقيدة إنما يستهدف الحوار اعتراف واقعي بوجود القوى المؤثرة في الواقع
 وإيجاد صيغة تعايشيه فيما بينها .



الرؤية الثانية : إن الحوار بين الأديان وسيلة لاكتشاف حقائق ((المشتركة العقائدية)) بين الأديان الثلاثة فلا يمكن بناء صيغة للتعایش لا تستند على بنية تحتية للفكر والعقيدة وقاعدة فلسفية أو عقائدية تضم المشتركة من هذه الأديان لتكون هي الجامع لهذه الشعوب^(١٤).

الرؤية الثالثة: إن الحوار بين الأديان وسيلة للتقارب العقائدي والقيمي والتشريعي بين الأديان الكبرى فلا بد من إيجاد صيغة تضم عقائد وقيم ونظم مشتركة .

الرؤية الرابعة : إن الحوار بين الأديان هو طريق للوصول إلى دين واحد تؤمن به كل الشعوب فالهدف (توحيد الأديان الكبرى بدين واحد) هو دين الانسانية^(١٥).

وكنتيجه للدراسات فإن الخيارات الثلاثة الأخيرة تكتنفها صعوبات كبيرة ولعل أفضل رؤية تداولية لحوار الأديان هي الرؤية الأولى التي تعبر عن رؤية للوصول الى تعايش الشعوب الموجودة على أساس قبول الآخر فقط، و تستبعد تماماً – المناظرات العقائدية ، وتركز على الوجود الفعلي (للأمم أو الدول) والكيانات التي تتطوي على ثقافات أصلها ديني بحيث تشكل لها هوياتها الحضارية، لذلك فإن الهدف هو ان القوى الناتجة عنها بدل إن تدخل في صراع تدميري فان حوار الأديان يسهم في اكتشاف صيغة للسلام بين هذه القوى، ويخفف من التنافس الشديد بينها على الثروات والأسواق والنفوذ حقيقة ويقلل من هواجس الخوف من الآخر والترقب من تداعيات الاختلافات العقائدية كسبب معلن.

إن ما يعزز هذا الخيار انه من جهة الغرب قد اصبح ضرورة من ضرورات الرأي العام وتراه مطلوباً لأن الغرب يخاف من تنامي الموجه القتالية التي برزت ليس فقط في تنظيمات القاعدة فقط اذ ربما هذا الخيار الى عدد من الخلايا النائمة في الفكر الأصولي الإسلامي ويعتقد الأوربيون إن هذه (الفوبيا) من الإسلام التدميري يمكن الخلاص منها بحوار الحضارات والأديان والثقافات الذي يوجد مناخاً سلمياً بين الشعوب و الامم والثقافات^(١٦).

ومن الطرف الإسلامي فلأن شعوب العلم الاسلامي ضعيفة عسكرياً واقتصادياً ولا قبل لها بمواجهة القدرات الغربية لذلك عليها إن نستبدل علاقات المواجهة بعلاقات الحوار أي تقدير حكيم أثر موازين القوى على مسارات التعاطي فيما بين الكيانات والتفاهم وعليها إن نستخدم التقية في المجال الدولي لذلك يتجه أصحاب هذا الخيار إلى اعتماد استراتيجيات حوار التعايش بوصفها وسائل للتعایش، رغم اختلاف المعتقدات وليس حوار العقائد لاقتناع الآخر بعقيدة ما، لأن في ذلك خطورة كبيرة وأن هدف هذا الاتجاه هو تحسين مستوى العلاقات بين القوى والسعى المشترك نحو الإنماء الإنساني – بلا تمييز بين الشعوب على أساس الدين أو المعتقد .



أن شروط نجاح هذا الاتجاه : الا يتم التطرق إلى القضايا العقائدية في خضم حوار الأديان ويتطلع الى وجود قاسم مشترك بين كل الأديان لأنه ليس بصدد المناظرة العقائدية ولا يجعل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان شرعة يتحاكم إليها المتحاورة في [تداوليات حوار الأديان] . وما يقدمه هذا الاتجاه :

- أنه يجيز قراءة أفكار الآخر وفلسفاته استثناء مما كان يعد من الممنوعات وينظرون الى التعدد بوصفه تنوعاً ثقافياً وليس تضاداً و ان لم يعترف به ويعامله على انه التنوع الثقافي انما بوصفه واقع فقط دون ان يمنحه الشرعية العقائدية ويصر اصحابه ان يكون الحوار حصراً في الأمور الدنيوية دون العقائدية.
- لقد عرف اليونسكو الحوار بأربعة مقومات:
- ١- احترام الآخر وحرياته وعقائده وطقوسه .
 - ٢- الاعتراف بأن الاختلافات كلها مشروعته .
 - ٣- ان التعدد عبارة عن التنوع الثقافي القائم حقيقة ولا يجوز تصادر وهي مصدر قوة .
 - ٤- قراءة أفكار الآخر وفلسفاته عمل مشروع مطلوب ومشجع عليه ^(١٧) .

اما الاتجاه الثاني : فهو يسعى إلى تأسيس الحوار على المشتركات العقائدية ويرتكز هذا الاتجاه على أن أصل الدين واحد أي إن الأديان كلها ذو جوهر واحد مهما اختلفت الصيغ والإشكال، وعلينا إلا نهدر الوقت في البحث عن الاختلاف في الشريعة والمنهاج، لذلك من السهل الوصول إلى عقائد مشتركة على الأقل في مجال الفضائل والقيم الأساسية والمعتقدات الكبرى ليقوم عليها والتعايش ويركز هذا الاتجاه على :

- ١- أيمان الأديان كلها بالربوبية
- ٢- أيمان الأديان كلها بالنبوات والوحي وإتباع النبوات .
- ٣- أيمان الأديان كلها بالمعاد والمسؤولية واليوم الآخر .
- ٤- وجود قيم وفضائل نبيلة تشترك فيها الأديان الكبرى.

ويدافع هذا الاتجاه عن أطروحته بان السلام و التعايش لايمكن ان يقوم على الاختلاف انما ويقوم على الالتقاء على المشتركات ويؤيد بان الإسلام يحتوي على كل المشتركات الدينية التي يركز عليها التنويريون الاسلاميون للتفاهم والتحاور والتعايش على أساس المشترك العقائدي .

وفي الجانب المسيحي : فهناك جمع من الكنائس والمجمعات الدينية التي امنت بتوسيع مفهوم الخلاص ليشمل كل الإنسانية وهذا القرار الفاتيكاني من اكثر القرارات انسجاماً مع معطيات الحوار ^(١٨) .



و الذي يؤسس لخطوة أخرى هي (التعاون) مع اهل الاديان و جواز دراسة الآيات القرآنية التي تذكر المسيح ومريم والرهبان الذي تفيض أعينهم من الدمع ، والاتفاق على بعض الأصول العقائدية والقيم الأخلاقية

أن هذا الاتجاه : يرى إن التفاهم بلا مشتركات عقائدية ليس حواراً للأديان ، إنما هو حوار للقوى والدول والأمم والشعوب – أو هو في أحسن الأحوال حوار للثقافات يبدأ من منطلقات منفعية غير دينية وينتهي الى نهايات براجماتية ، لانه حينها لا يكون الاتفاق على أصول مشتركة أو قيم دينية مشتركة يؤسس عليها التعايش السلمي فلا يعد ذلك حواراً للأديان .

الاتجاه الثالث : ويعتقد أصحابه إن الحوار لا يكفي بالمشاركات العقائدية فلا بد من إن تضم لها المشتركات القيمية والأخلاقية واللوائح القانونية المشتركة ويعلن عن أن الحوار ليس وسيلة للاقترب العقائدي فقط إنما اقتراب قيمي أخلاقي فأن العلم اليوم يشهد ازمة اخلاقية بالدرجة الاساس ثم اقتراب نظمي منه الإقرار بحرية الأديان والتدين ، و لكن هذا الإقرار يتعارض مع التمسك بفقہ الردة وعقوبة المرتد عند المسلمين وربما نجد مثلها عند اليهود والمسيحيين و يتطلب الاتجاه الثالث إنهاء فكرة الذميين والجزية والتمييز ضد الكتابيين في المدونات الإسلامية ويريدون إنهاء إعلان المسلمين لكفر اليهود والنصارى وفي الاستجابة لمطلب التنازل عن كفر اليهود و المسيحيين هناك أنموذجان.

١- أنموذج الشيخ يوسف القرضاوي الذي يكفرهم لكنه لا يمنع من القول بجواز التقارب معهم، ولذلك يعتبره المتشددون (مبتدعاً)، رغم مشاطرة لجنة حوار الأديان بالأزهر معه، حلت في (٢٠١٠).
٢- أنموذج محمد عماره الذي لم يعتبرهم كفار لانه فسر الكفر بالجحود بالالوهية و الحال إنهم موحدين ، والكفر حصراً بعبدة غير الله من عباد الشمس والحيوانات والأصنام وقد كفر المتشددون اصحاب هذا الاتجاه لأنهم لم يكفروا أهل الكتاب إن الاتجاه الثالث يحاول اكتشاف المناطق المشتركة بين الأديان الثلاثة في عموم الميدان الديني (العقائد / القيم / النظم والتشريع) وهذه المحاولة رغم أنها تهدف (كما يروج لها) إلى توسيع دائرة المشترك إلا أنها تتطوي على مخاطر ظهور اختلافات كبيرة يمكن إن تهدر المشروع برمته .

ويرى الباحث : أن الخيار الأول هو الخيار الأكثر أمكانية، رغم إن الفكر الإسلامي لا يضيق ذرعاً بالخيارات الثلاثة ولكنه لا يتسع للرابع . . لما فيه الكثير من الموانع ويرى إن الخيار الأول أكثر راجحية في التحقيق العملي لأن المسلمين يعتقدون .

١- إن اختلاف عقائد الناس سنة كونية أكد عليها القرآن الكريم فقد قال الله في محكم كتابه المجيد (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين)(١٩) .



ولأننا مأمورون بالتعامل الحسن مع إتباع الأديان الثلاثة لقوله تبارك وتعالى ((ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن))^(٢٠)

ولقوله تعالى : ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم إن تبرؤهم وتقسطوا إليهم))^(٢١)

وقوله تعالى : ((تعالىوا إلى كلمة سواء))^(٢٢) وقد فسره المفسرون الكلمة السواء بأنها الأعمال الصالحات للبشرية جمعاء^(٢٣).

ولأن فلسفة الاستخلاف الإسلامي فلسفة تشمل الانسانية مهما كان الدين ولأن القرآن ألزما بمبدأ (تكريم الإنسان)^(٢٤) ومن التكريم احترام خياره الديني، ولأننا نعتقد إن الإسلام قد احتوى الأصول الدينية كلها فأياً كان الموحد فهو يحمل جزءاً من الإسلام المهيم لقوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذين أوحينا إليك و ما وصينا به إبراهيم وموسى و عيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه).

لذلك : لا يجد الباحث إن مبررات الممتنعين عن الحوار مع أهل الأديان مبررات كافية لتأسيس موقف رافض للحوار مطلقاً

ويرى الباحث إن الحوار : ربما يؤدي إلى أغناء التجربة الدينية والحضارية التي ترتقي بالإنسان إلى الأفضل والأكمل، وربما تشكل هذه التجربة أرضية لاستثمار الأديان للتخفيف من الشرور والجرائم وعمليات إزهاق الأرواح ومصادرة حقوقهم وتجويعهم ونهب ثرواتهم واستخدام القوة لسلب الحقوق ونعتقد أيضاً إن حضارة الغرب الصناعية والتسليحية بحاجة إلى تجربة دينية تقلل من جفاف النزعة المادية لها وتزرع في وعي التفكير الغربي نزعه إنسانية.

ويؤكد الباحث إن القرآن الكريم الذي نهى في آيات كثيرة عن العدوان والاعتداء لا يمكن إن يكون مشروعاً للقتل والاضرار والابادة تحت مدعيات دينية.

و إن الإنجيل الذي يدعو إلى التسامح والمحبة لا يمكن ان يدفع معتنقيه إلى إشعال الحروب المدمرة ضد الشعوب الفقيرة لذلك فان عمليات الاضرار بالانسان واستخدام العنف لايمكن ان يكون تطبيقاً لنص تاريخي.

ونرى : أن المدنية الأوروبية المعاصرة كلما تطورت احتاجت إلى قيم دينية لتلطيف عنفوانها وتقليل هيمنتها على العالم الفقير والمتخلف .

لكننا نقف موقف (المتحفظ) ضد من يدعو الى جواز تقديم تنازلات عقائدية للآخر، تحت مبرر إنجاح حوار الأديان و نتحفظ على الاطلاق غير المحدد لمقولة ان الأديان جوهر واحد – مهما اختلفت الصيغ و الإشكال فتلك كلمة حق، لكن التدرج في ازمان الاديان مرتبط بالتطور النوعي لحكمة الانسان وعقله ، بتقدير الباري تعالى ذلك لأننا نؤمن أن التدرج الديني تابع- لتطور الممارسة الاستخلافية للإنسان على



الأرض و الأديان بتتابعها فأنها تنطوي على حكمة التدرج كما نؤمن بان الأديان قد صرحت بنظرية النسخ .

لذلك :لا نرى إذا ما دخلنا في الحوار من بوابة عقائدية -ان الحوار سينتهي إلى نتائج طيبة ،بل ستكون هناك تقاطعات كثيرة و علينا ان: نلتزم بان الحوار لا يهدف إلى إقناع الآخر بدين الطرف الثاني، بل علينا أن نكتفي بتحقيق غاية قبول الآخر لدى إتباع الديانات السماوية .

وأيضاً: ربما سيقفل الحوار بين علماء الأديان من ذلك الموروث العدائي السلبي المتراكم في الذاكرة الأممية، و ما هو تاريخي من صنع الإنسان و اجتهاده و ليس صنع الله مثل الحروب الصليبية التي شنها حملة الصليب على المسلمين و حروب العثمانيين على الأرمن .

ربما: نقبل القول: ان جوهر الرسالات السماوية وهدفها هو الإنسان الذي خلق للعبادة ،ولولا الانسان لم يكن الكون بحاجة إلى هذه الأديان الكثيرة والأنبياء الذين يزدون على عشرات الآلاف ،ونلفت النظر هنا إننا لا نقلل من آثار الكثير من مدارس الاستشراق الذي أعمل منهجه العدائي و الأيديولوجي في التراث الإسلامي مما حفر في ذاكرة الوعي عند الإنسان المسلم – رؤية عدائية للاستشراق مملوءة بالخوف والتوجس من كل نتاج غربي في مجال الإنسانيات ،ولا نقلل :من إشكالية تجذر الخلاف منذ قرون ،وعقم المحاولات السابقة للحوار مثل مؤتمر مدريد، و مؤتمر قطر ، وعشرات اللقاءات التي جرت بين علماء الأديان ،كما لا نقلل :من تأثير الحروب الغربية حالياً على بلدان العالم الإسلامي التي لا تزال مستمرة إلى الآن و التي تعتبر مانعاً .

إننا نلفت النظر الى ان (النادي المسيحي الأوروبي) لم يقبل تركيا عضواً فيه لا لشيء إلا لأن ثقافة الأتراك التاريخية ليست ثقافة مسيحية مع ادعاء وان ثقافة الشعب التركي لا تتوافق مع ثقافة شعوب الاتحاد الأوروبي، ونرى ان تلك الصعوبات كلها :يمكن التعامل معها، متى كانت النوايا صادقة و القلوب طاهرة و الحرص على مصير الإنسانية المعاصرة حرصاً حقيقياً .

موقف الشيخ محمد مهدي شمس الدين من حوار الاديان
يعتقد الشيخ شمس الدين ان القيم النبيلة قوة فعالة لحياة انسانية ممتازة ، وان الحضارات الانسانية الكبرى لا تنمو الا في ظل القيم التي تخفف من قسوة المذنيات المادية.
و يشخص الشيخ ازمة الحضارة و الاشكال التاريخي للحوار مشيراً الى ان حضارة الغرب المادية (الحادية او ذات ايمان شكلي) هذه المدنية وفرت اللذة دون السعادة ليست مرتكزاً على الضمير او الشعور بدور ايجابي وان سلام هذه الحضارة : للانسان انما قائم على توازن قوى الرعب.



في غمرة: ادراك ان المشروع الحضاري الغربي (غير الايماني، و التهديدات الموجهة لحياة الانسان الغربي لمتطلباتهم ولدت الحاجة الى الحوار بين (الاسلام والمسيحية)

ويرى الشيخ ان الاسلام والمسيحية : كلاهما دعوة للخلاص في الدنيا من الشرور وكلاهما يزدوج في رؤيتهما(عالم الغيب/الشهادة)ووسائلهما المختلفة و كل منهما يصر على انه الوسيلة الوحيدة للخلاص.

ان علمنا اليوم يقدم كل دين منهما: عبارة تحدي للآخر----- لا بد من الحوار.

اشكال الحوار: ان اهم مقدمة للحوار ان نتخلى عن الصدام المسلح

لان الدينين سلما للسياسة مقاليد الشأن العام سواء اللاهوت او علم الكلام و اذا كان الحوار في مجال العقائد (حوار العقائد :عقيم)

ولم يبق الا حوار التعايش

اوربا : بعد التخلص من سلطة الكنيسة اختارت استراتيجيات التسامح الديني

و علينا ان نقرر

هل يستهدف الحوار :ادخال تعديلات روحانية على مدينتنا المعاصرة في اوربا و المساهمة في سبل اصلاحها و تطوير ايجابياتها

صحيح: ان التعايش في ظل التسامح (غرض مهم) ولكن من الضروري اعادة الاعتبار للإيمان

اذن سيتقرر ان التعايش جدوى في تصحيح المسار الحضاري للإنسانية المعاصرة وسيسهم في حل اشكاليات الوجود

حينما يكون الهدف تصحيح مسار الحضارة المادية سيكون(الحوار العقائدي لا يوفر فرصة) للتصحيح

لانه سيدخل في مناظرة بين متراكمين على الاف السنين

اعادة الاعتبار للقيم

يعتقد الشيخ شمس الدين ان القيم قوة فعالة لحياة انسانية ممتازة، وان الحضارات الانسانية لا بد ان تركز على قيم الضمير الذي يخفف من قسوة التطور التقني ، والاحتمالات في حوار(اللاهوت-علم الكلام الاسلامي؟)

أ- هل يغير علم الكلام الاسلامي المسيحية من الداخل لتتحد مع الاسلام و الجواب ان هذا الاحتمال غير وارد

ب- هل يغير كلا الدينين بعض مفاهيمها ليتوحد الدينان في دين واحد وهذا الاحتمال ايضا ليس احتمالا قويا وتقف في وجهه عقبات كبيرة تحبط الحوار.



و اذا عرفنا ان الاسلام/و المسيحية عالمان ثقافيان وكلاهما لديهما معاً رؤية في (صيغة الحياة) (عقيدة، قوانين، قيم اخلاقية)

فأننا نتطلع الى – ما هو ايجابي في رؤيتهما معا

فالعقائد: ليست مجالاً للاجتهاد لأنها من (الثوابت) وأساسيات الشريعة ايضاً من الثوابت فكلاهما ليسا موضوعاً للاجتهاد و الحوار والتعديل و الاندماج

فلم يبق الا موضوع الاجتهاد في المتغيرات القابلة للتغير استجابة لضرورات الزمان والمكان (يتم وفق آليات اسلامية)

إذن ما الصيغة المطلوبة للحوار؟

يعتقد الشيخ ان المراد من الحوار اكتشاف المساحات المشتركة في رؤية المسيحية وفي الرؤية الاسلامية فيما يخص (الانسان، المجتمع، الحضارة)

فاذا تم الاكتشاف – يتحقق فتح روحي للحضارة المعاصرة

ويكون لكل دين مجالان لبناء الانسان المتكامل و المجتمعات الرسيده و الدول العادلة

أ- مجال خاص لاتباعه في بناء انسان افضل (المسيحي الافضل، المسلم الافضل)

ب- مجال تقديم رسالة حضارية يقدمها ذلك الدين للعالم اجمع تتضمن رؤيته في عالم افضل.

اما المساحات المشتركة الموجودة بين المسيحية والاسلام

فهي الايمان بالله/اليوم الاخر/الانبياء اصحاب الرسالات وان للانسان بعداً روحياً/وان العبادة/حاجة انسانية/وان كرامة الانسان شرط لوجوده /ولابد من الاعتراف بالاخلاق الفطرية /الاسرة، وضرورة ان يكون اطار التقدم التقني اطاراً انسانياً.

مراحل الحوار:

يعتقد الشيخ ان مراحل الحوار تبدأ: من الاجابة على سؤال مهم كم ستتدخل الرويتان في صيانة قيم المشتركة سواء اكانت جزءاً من

أ- الاصول



ب- او من شرح التفاصيل

ت- توجيه المشتركات للوضع الانساني المعاصر: بعد اكتشاف المشتركات لابد من توجيهها نحو ترميم الوضع الانساني فكل دين اصوله الاعتقادية والقيمية ، ولكي لا تقع في الخطأ لابد من الوقوف على تفاصيل تلك الاصول وضبط المشتركات ثم توجيهها لوضع الانساني الحالي .
ان ابرز جدوى للحوار :اكتشاف مشروع صيغة جديدة للحضارة من خلال (مناقشة المشكلات الانسانية المعاصرة على ان ينتج عنه اساس هذه المشتركات)^(٢٥)

هل لاحظ كل دين مسألة التعايش مع الآخر ،نظر لها تنظيراً عقائدياً وقانونياً
- اننا نلاحظ ان الاطروحة العلمانية: اقامت فكرة التعايش بين المسيحية و الاسلام ،والاسلام والمسيحية اولى من العلمانية في اقامة صرح التعايش

١- في عالمنا الاسلامي لابد من الاقتناع بأن المسيحية و المسيحيون: حقيقة قائمة موجودة معترف بها اعترافاً واقعياً ولا مانع من العيش المشترك معها على اساس نظرية (المجتمع السياسي) الخاضع لالتزامات واحدة (لا ينهاكم الله عن الذين يقتلونكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم ان تبوهم و تقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) (الاحزاب/٨)^(٢٦)
وفي التاريخ الاسلامي – رغم كل تداعياته من :

فان ممن الممكن الاستشهاد بمجتمع اسلامي فيه مسيحيون لهم دور فاعل في المعرفة والادارة.
فليس لدينا ما نخجل من الاستشهاد به كما حصل بمجتمع في اسبانيا من تحريم وجود الاديان الاخرى ولنلاحظ ان الاستعمار قد دخل مع التبشير بالمسيحية الى من العالم الاسلامي وادخل اليه (اسرائيل).

و استناداً الى نظرية الشيخ شمس الدين لحوار الاديان نلاحظ انه قد دعم هذه النظرية بأرائه لاتباعه و مقلديه فهو يرى :لا مانع من تولي غير المسلم اية وظيفة في الدولة الحديثة دولة المؤسسات القائمة على التمثيل البرلماني والتي تدار من مؤسسات ومجالس الشورى وتنظم عملها الدساتير.

قضية الخلاص: يعتقد الشيخ ان كل دين يرى انه العقيدة الخلاصية الوحيدة والاخلاص خارجها.

يقضي الاسلام قوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)^(٢٧)
الخسران اخروي دون الدنيوي

بينما يشير الى الموقف الاخر المعبر عن قوله تعالى (لن ترضى عنك اليهود و النصارى حتى تتبع ملتهم)^(٢٨)

الموقف الفاتيكاني الاخير توسيع نطاق الخلاص وهذا ينسجم مع الموقف الاسلامي



أ- لمن لم تبلغه الدعوة

ب- او بلغته ولم يعقلها

ت- بسبب ضعف المبلغ/الاحوال والظروف

ث- لا يحكم بالهلاك الابدي

ويؤمن قرارات المجمع الفاتيكاني الذي اقر بالقيمة الخلاصية للإسلام نتيجة دراسة لاهوتية صدرت عن المجمع المسكوني الثاني.

ويرى ان الخلاص في الاسلام

خلاص من لم تبلغهم الدعوة او بلغتهم ولم يعقلوها (ان الذين امنوا و الذين هادوا و النصارى و الصابئين من آمن بالله و اليوم الآخر وعمل صالحاً فلم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)^(٢٩)البقرة ٦٢

و في المائدة /٦٩ قدم الصابئون على النصارى (ان الذين امنوا و الذين هادوا و الصابئون و النصارى من آمن بالله و اليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)^(٣٠)

ص١٤٨ قرار المجمع المسكوني : تنتظر باحترام المسلمين ... الخ

الخاتمة

١-الا يمنع الحوار الحروب الأُممية باسم الدين، فالفكر الانساني المعاصر ضد التوظيف السياسي وضد استغلال الأديان، و تعتقد مدرسة النجف الاشرف ان الجهاد هو الدفاع عن النفس لا غير، و ليس الحشد لتدعيم تجرب سياسية .

٢-الا نُكره احدُ ابتداءً على اعتناق أي دين (لمبدأ لا اكراه) ولا يكرهونا على التخلي عن تراثنا ومعتقداتنا بكل الوسائل حتى الإعلامية منها

٣- ان تمنح الأقليات الإسلامية في أوروبا حريتها الكاملة لممارسة عقائدها و طقوسها وحريتها في الدعوة لأفكارها و هذه الدعوة تركز على (فلسفة مواطنة) و التي هي ناتج عن علمانية الغرب التي قدمت المواطنة كرسالة حضارية عالمية لها و انها في التصور الاسلامي ناتج عن مبدأ لا إكراه في الدين الإسلامي و مبدأ المساواة و التكريم القرآني للإنسان . كرسالة حضارية من المسلمين للامم كافة.

٤- نعتقد ان على المسلم الإقرار بالأديان السماوية جميعاً وهذا امتياز للمسلم في حوار جدي للأديان يلزم ان يقابل بمثله في الأديان الأخرى.



- ٥- ترى ان حوار الأديان ربما يسهم في تقوية صلة الإنسان عموماً بالله و تقليل الشرور الانساني و الوقوف ضد الإلحاد والإباحية و اعلاء القيم التي تصنع الانسان الفاضل و المجتمع الرشيد وهذا الهدف سامي ومقدس وانساني يجب ان تسعى له كل القوى النبيلة.
- ٦- يسهم الحوار في ايضاح تحريم الإرهاب و استخدام القوة بكل إشكالها كوسيلة للتبشير و نشر الدين.
- ٧- مراعاة اختيار الأغلبية في أي بلد للفكر الديني فإذا اختار المسلمون الإسلام فعلى غيرهم الالتزام بخيارهم وكذا العكس على الأقليات المسلمة في اوروبا مراعاة اختيار الأغلبية في بلدانهم.
- ٨- يشجع التضامن بين إتباع الأديان الثلاثة جميعاً لنصرة المستضعفين و المضطهدين و الفقراء و المرضى ويوحدتهم في مواجهة الازمات و المجاعات والكوارث في فعل انساني كبير.
- ٩- يعمق الحوار أواصر الصداقة و تبادل الزيارات و حضور الطقوس الدينية لجميع الأديان، وان كان في هذا خلاف بين المذاهب
- ١٠- يسهم الحوار مراجعة الموروث التاريخي السلبي وطي ذلك الموروث الذي يعكر صفو المحبة بين البشر وفتح صفحة تعامل جديدة على أسس ايجابية

هوامش البحث

- (١) عبد علي الخفاف
- (٢) ظ تقرير الحريات الدينية
- (٣) د. عبد علي الخفاف: الحريات الدينية ٢٠٠٨
- (٤) التاويل المسيحية لهوثة السياسة
- (٥) ويقدر عدد اتباع الهندوسية ب (٩٠٠) مليون ،و البوذية (٣٧٦) مليونو السيخ (٢٣) مليون
- (٦) ظ انجيل متي ١٩: ١٦ / انجيل يوحنا ١٣: ١٦
- (٧) انجيل متي ١٩: ١٦
- (٨) انجيل متي ١٩: ١٦
- (٩) ظ اراء برنارد لويس في الاسلام والحداثة
- (١٠) صموئيل هنتنغتون: صدام الحضارات ص ١٢١
- (١١) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ الانسان الاخير
- (١٢) محمد خاتمي: عالم الغد وحوار الحضارات ص ٧١-٧٢/ظ له ايضاً: المشهد الثقافي في ايران مخاوف وآمال ص ١٥٤
- (١٣) رضوان السيد: مداخلته في مؤتمر جامعة اللوزيرة
- (١٤) مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني ١٩٦٥
- (١٥) ظ هاشم آقاجري (حوار الحضارات من وجهة نظر المفكرين الايرانيين)
- (١٦) دعوة جمال الدين الافغاني واخرون مطلع القرن العشرين ص ١٣



- ١٧) حميد مولانا: نظرية حوار الحضارات مجلة كفتان العدد ٦ ص ١٩٧
- ١٨) منظمة التربية و الثقافة والعلوم (Unico)
- ١٩) محمد مهدي شمس الدين: لبنان الكيان والمعنى ص ٣٢
- ٢٠) سورة هود / الاية ١١٨
- ٢١) سورة العنكبوت / الاية ٤٦
- ٢٢) سورة الاحزاب / الاية ٨
- ٢٣) سورة آل عمران / الاية ٦٤
- ٢٤) الاسراء / الاية ٧٠
- ٢٥) سورة الشورى / الاية ١٣
- ٢٦) ظ الشيخ شمس الدين: لبنان الكيان والمعنى ص ٣٢
- ٢٧) شمس الدين الحكم والادارة
- ٢٨) سورة فاطر / الاية ٨٥
- ٢٩) سورة البقرة / الاية ٦٢
- ٣٠) سورة المائدة / الاية ٦٩